لئن لم تنته عن ما انت عليه لارجمنك اي لاقتلنك او لارجمنك بالحجارة حتى
تموت او تبتعد عني او بالكلام القبيح فاحذرني واهجرني اي ابعد عني بالمفارقة
من الدار والبلد وهي كهجرة النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين اي تباعد عني
مليا اي دهرا طويلا لكيلا اراك وقيل اهجرني بالقول ولا تخاطبني دهرا طويلا
لاجل ما صدر منك من هذا الكلام وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
وتاسية فيما كان يلقى من الاذى ويقاسي من قومه من العنا ومن عمه ابي لهب من
الشدائد فيا عظم اباه واقربهم نسبا فلما سمع ابراهيم عليه السلام كلام ابيه
اجاب بامرين احدهما قال له مقابلة لما كان منه من طيش الجهل بما يجوز مثله
من رزانة الحلم العقل والعلم سلام عليك توديع ومتاركة اي سلمت مني
لا اصيبك بمكروه ما او رفيقك بشيء فانه لم يومر بقتاله على كفره كقوله لنا
اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما وهذا يجوز على متاركة المنصوح اذا ظهر منه اللجاج
وعلى انه يحسن مقابلة الاساءة بالاحسان ويجوز ان يكون دعا له بالسلامة
استمالة الاترى انه وعده بالاستغفار فيكون سلام بر ولطف وهو جواب
الحليم للسفيه كقوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ثم
استانف قوله سأستغفر لك ربي اي المحسن الي بان اطلب لك منه
غفران ذنوبك بان يوفقك للاسلام انه كان بي حفيا اي في اكرامي
مرة بعد مرة وكرة في اثر كرة وقد وفى بوعده بقوله المذكور في الشعراء
واغفر لابي وهذا قبل ان يتبين له انه عدو لله كما ذكره في براءة وثانيهما
قال لهم انقيادا لامر ابيه واعتزلكم اي جميعا بترك بلادكم واشار
الى ان من شرط المعبود ان يكون اهلا للمناداة في الشدائد بقوله
وما تدعون اي تعبدونه من دون الله الذي له الكمال كله فمن
اقبل عليه وحده اصاب ومن اقبل على غيره ولو طرفة عين فقد خاب وخسر
وادعو اي اعبد ربي وحده لاستحقاقه لذلك مني ولم يقيد
الاعتزال بزمن بل اشار الى انهم ما داموا على هذا الدين فهو معتزل لهم
ثم دعا لنفسه بما بينهم به على خسة مسعاهم فقال غير جازم
باجابة دعوته وقبول عبادته اجلالا لربه وهضما لنفسه عسى
ان لا اكون بدعاء ربي المنفرد بالاحسان الي شقيا اي كما شقيتم
بعبادة الاصنام فانها لا تجيب دعاكم ولا تنفعكم ولا تضركم ولما راى
من ابيه ومعاشرته ما راى عزم على غربة مشقة النوى مختارا
للغربة في البلاد على غربة الاضداد فكان كما قال ابو سليمان الخطابي

وما غربة الانسان في شقة النوى * ولكنها والله في عدم الشكل
واني غريب بين بست واهلها * وان كان بها اسرتي وبها اهلي

وحقق

وحقق ما عزم عليه فبين سبحانه وتعالى تحقيق رجائه واجابة دعائه فقال
فلما اعتزلهم اي بالهجرة الى الارض المقدسة وما يعبدون من دون الله لم يضره
ذلك دينا ودنيا بل نفعه وعوضه الله اولادا كما قال تعالى وهبنا له كما هو
الشان في كل من ترك شيئا لله اسحاق ولدا له لصلبه من زوجته العاقر
العقيم بعد تجاوزها سن الياس واخذه هو في السن الى حد لا يولد لمثله
ويعقوب ولدا لاسحاق وخصهما بالذكر للزومهما محل اقامته وقيامهما
بعد موته بخلافته فيه واما اسماعيل عليه السلام فكان الله سبحانه وتعالى
هو المتولي لتربيته بعد نقله رضيعا الى المسجد الحرام واحيائه تلك
المشاعر العظام فافرده بالذكر جاعلا له اصلا براسه بقوله بعد واذكر
في الكتاب اسماعيل فترك ذكره مع اسحاق الذي هو اخوه لذلك ثم صرح
بما وهب لاولاده جزاء على هجرته بقوله تعالى وكلا اي منهما جعلنا نبيا
على المقدار وتخبر بالاخبار العظيمة كما جعلنا ابراهيم عليه السلام نبيا
ووهبنا لهم كلهم من رحمتنا اي شيئا منها عظيما من النسل الطاهر
والذرية الطيبة واجابة الدعاء واللطف في القضاء والبركة في المال والاولاد
وغير ذلك من خيري الدنيا والاخرة وجعلنا لهم لسان صدق عليا اي
وهو الثناء الحسن وعبر باللسان عن ما يوجد باللسان كما عبر باليد
وهو العطية واستجاب الله دعوته في قوله تعالى واجعل لي لسان صدق
في الاخرين فصيره قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم فقال تعالى
ملة ابيكم ابراهيم وقد اجتمعت فيه خصال لم تجتمع في غيره اولها
انه اعتزل عن الخلق على ما قال واعتزلكم وما تدعون من دون
فلا جرم بارك الله في اولاده فقال ووهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا
جعلنا نبيا ثانيها انه تبرا من ابيه كما قال عز وجل فلما تبين له انه
عدو لله تبرا منه لا جرم سماه الله ابا المسلمين فقال ملة ابيكم
ابراهيم ثالثها تل ولده للجبين ليذبحه في الله على ما قال
تعالى وفديناه بذبح عظيم رابعها اسلم نفسه فقال اسلمت لرب العالمين فجعل
الله تعالى النار بردا وسلاما عليه فقال يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم
خامسها اشفق على هذه الامة فقال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
لا جرم اشركه الله تعالى في الصلوات في قوله كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
سادسها في حق سارة في قوله تعالى وابراهيم الذي وفى لا جرم جعل موضع
قدميه مباركا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى سابعها عادى كل الخلق
في الله فقال انهم عدو لي الا رب العالمين فاتخذه الله خليلا كما قال واتخذ
الله ابراهيم خليلا ليعلم صحة قولنا ما خير على الله احد القصة الرابعة
المذكورة في قوله تعالى واذكر في الكتاب اي الذي لا كتاب مثله في الكمال

Copyright ... University